

الولايات المتحدة الأمريكية  
كنيسة مار مرقس بلوس أنجيلوس يوم الأحد ٢٠١٤/١٠/٥ م  
كنيسة العذراء بسياتل يوم الجمعة ٢٠١٤/١٠/١٠ م  
الرَّاهِب القس أناسيوس المقاري

## معنى المرد: "رحمة السَّلام، ذبيحة التَّسبيح"

بحسب طقس القُدَّاس الإلهي في القرن الرَّابِع عشر الميلادي، وحتى أوائل القرن العشرين، يقول الشَّماس: "قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدَّسة"، فيرتل الشَّعب الأَسبَسْموس الآدام، الذي يقول عنه ابن كَبَر (١٣٢٤م): "يرتل المرتلون بما يليق بذلك اليوم"<sup>(١)</sup>. أمَّا في سائر الأيام فيقولون 'Πῆς Πεννοῦτ'<sup>(٢)</sup> أو يقولون: "قبلوا بقبلة Δριᾶσπαζεσὲ... وأوقات الاختصار لا يُقال ذلك، وقد تقتصر على 'Θιτεν νιερχη' في أيام تذكارات الشُّهداء والقُدَّيسين والملائكة. ويُذكر اسم كلِّ واحد منهم في يومه. وقد يُقتصر على: 'Πενοῦωπτ'. وعند قولها، يسجدون لله جميعاً في أيام السُّجود، أو يركعون في الأيام التي لا سجود فيها. والغالب الرُّكوع..."<sup>(٣)</sup>.

واضح هنا، أن ابن كَبَر يذكر أنه في سائر الأيام السنويَّة، أي في غير أيام الأعياد، كان الشَّعب يردد واحداً من مردِّين، المرد الأوَّل بدايته: "المسيح إلهنا..."، والمرد الثَّاني بدايته: "قبلوا بقبلة مقدَّسة...". وفيما يلي أوردُ نص هذين الأَسبَسْموسين.

### • نصُّ الأَسبَسْموس الآدام الأوَّل:

"أيها المسيح إلهنا (مخلصنا)، اجعلنا أهلاً لسَلامك المقدَّس في السَّموات. لكي نسيِّحك مع الشَّارويم والسَّارافيم صارخين قائلين: قُدُّوس قُدُّوس قُدُّوس أيها الرَّب الضَّابط الكلِّ، السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك وكرامتك. بشفاعات والدة الإله القُدَّيسة مريم، ياربُّ أنعم لنا بغفران خطايانا. بشفاعة الثَّلاثة المنيرين الأطهار ميخائيل وغبريال ورفائيل، ياربُّ أنعم لنا بغفران خطايانا. بشفاعة الأربعة حيوانات غير المتجسِّدين، والأربعة والعشرين قَسِيَّساً ياربُّ أنعم لنا بغفران خطايانا. بشفاعة سبعة رؤساء الملائكة وجميع الطَّغَمات السَّمائيَّة، ياربُّ أنعم لنا بغفران خطايانا"<sup>(٤)</sup>.

### استدراك لا بد منه

الآن يستطيع القارئ العزيز، أن يعرف من أين أتى مرد: "بشفاعات والدة الإله القُدَّيسة مريم..."، والذي صار مرداً ثابتاً في القُدَّاس اليَوْم. ولماذا نسَمِّيه أَسبَسْموس آدام مختصر؟ فهو في الحقيقة، لم يكن مرداً ثابتاً على مدار السَّنة الطَّقسيَّة في كلِّ مناسباتها، ولكنَّه أَسبَسْموس من الممكن أن يُقال في صوم وأعياد العذراء، كأحد الأَسبَسْموسات الآدام. وحتى في هذه الحالة، كان يسبقه المقدَّمة الثَّابتة التي لا تتغيَّر مع تغيَّر أعياد الشُّهداء والقُدَّيسين في حالة ترديد هذا الأَسبَسْموس وهي: "أيها المسيح مخلصنا اجعلنا أهلاً لسَلامك المقدَّس في السَّموات...".

١- أي بالمناسبة المختصَّة بذلك اليَوْم، سواء كانت في أيام الفصح والخمسين المقدَّسة، أو ليوم الميلاد، أو ما بين الميلاد والغطاس... الخ.  
٢- وهو نفسه الأَسبَسْموس الذي أورده خولاجي سنة ١٩٠٢م، ولكن مقدَّمته هي: Πῆς πενωῦτη أي "أيها المسيح مخلصنا".  
٣- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهلبيَّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظلِّمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ١٧  
٤- واضح هنا أن هذا الأَسبَسْموس، كان ينتقي هيتيَّة (أي طلبه) واحدة، طبقاً لمناسبة أحد أعياد الشُّهداء أو القُدَّيسين في يوم عيده، لثقال بعد هذه الأرباع المذكورة. أمَّا اليَوْم، فبعد انتقال هذه الأرباع لثقال قبل قراءة فصل البولس، فقد استطلت رويداً رويداً حتى صارت أرباعاً عديداً، تُحتم الآن برُبع للبابا البطريرك، وللأب الأسقف، وهي الإضافة الذي يذكرها كتاب الخولاجي لسنة ١٩٠٢م، بقوله: ثم يقولون لآبائنا الرُّسل وما يختارون من الشُّهداء والقُدَّيسين والبطاركة. ثم في الآخر يقولون: "نسجد لك أيها المسيح...". وأوَّل إشارة وردت عن هذه الهيئتيَّات بوضعها الرَّاهن، كانت في كتاب خدمة الشَّماس في طبعته سنة ١٦٥٤ للشُّهداء/ ١٩٣٨م.

وينبغي هنا أن نلاحظ مدى الرباط المحكم بين ما يمارسه الشعب من قُبلة مقدّسة، وبين صلواته أثناء هذه القُبلة، لكي يجعلنا الربُّ أهلاً لسلامه السَّمائي بشفاعات والدة الإله القديسة مريم.

ولكن حين اقتطع المرد "بشفاعات والدة الإله..." من سياق نصِّ الأسيسموس السَّابق ذكره، اختلَّ المعنى بين ما نمارسه، وما نقوله، إذ ما علاقة القُبلة المقدّسة بطلب شفاعة العذراء في هذه اللحظة بالذات؟ أمّا حين نطلب أن يجعلنا الربُّ مستحقين لسلامه السَّمائي، بشفاعة العذراء أو الملائكة أو الآباء الرُّسل أو الشُّهداء أو القديسين، يكملُّ الشعب السؤال بطلب غفران الخطايا من جرّاء هذه الشَّفاعة. لأنّها لحظة قُبلة السَّلام والمصالحة، لغفران الخطايا، والصفح عن الآثام.

### • نصُّ الأسيسموس الآدام الثَّاني:

"قبّلوا بقبلة مقدّسة، وطهّروا قلوبكم من كلِّ شر. كونوا مستعدّين لموهبة الله، حتى تنالوا من هذه الأسرار. وبهذا نفوز بالرَّحمة، ومغفرة خطايانا، كعظيم رحمته. نسجدُّ لك أيها المسيح..."

ويذكر ابن كبر، أنه في حالة عدم ترتيب الأسيسموسين السَّابقين، أو أي أسبموسات أخرى تختص بالمناسبات الكنسيّة، فيقتصر المرد على: "نسجد لك أيها المسيح، مع أليك الصَّالح، والرُّوح القُدس، لأنك أتيت وخلصتنا".

وهنا يكملُّ الشَّماس المرد الذي بدأه قبل الأسيسموس، فيقول: "نعم ياربُّ الذي هو يسوع المسيح ابن الله اسمعنا وارحمنا، قدموا على الرِّسم، فقوا بخوف وإلى الشَّرْق انظروا، نصت".

### فيقول الشعب: "رحمة السَّلام ذبيحة التَّسيح".

فهذا المرد هو مردُّ سحيق في القدم، قائم بذاته، لا علاقة له بأيِّ مرد سابق له. وهو نفس ما نقرأه في حولاجي سنة ١٩٠٢م.

ونصُّ هذا المرد في المخطوطات المختلفة<sup>(٥)</sup> هو: "رحمة وسلامة وذبيحة تامة". أو "رحمة وسلامة وذبيحة وتسبحة". أو "رحمة وسلامة وذبيحة زكية".

ونصُّ هذا المرد عند ابن سباع هو: "سلامة ورحمة وذبيحة"<sup>(٦)</sup>. وبرغم الاختلافات في التَّرجمة العربيّة للمرد، فتتفق كلُّ المخطوطات على النصِّ اليوناني لهذا المرد، وهو:  $\text{Ελεος ειρήνης. Θυσία αιnéσεως}$  أي: "رحمة السَّلام، وذبيحة التَّسيح".

"رحمة السَّلام" أي أن هذه الذبيحة المقدّسة المرفوعة على المذبح، هي التي تجعلنا أهلاً لسلام المسيح المقدّس، وهو ما يذكره الأسيسموس الأوّل لابن كبر. وأنه بتناولنا من هذه الأسرار المقدّسة، "نفوز بالرَّحمة، ومغفرة خطايانا"، وهو ما يذكره الأسيسموس الثَّاني لابن كبر. وأمّا "ذبيحة التَّسيح"، فتعني أن القُداس الإلهي هو ذبيحة تسيح وشكر لله على إحساناته التي صنعها معنا. كقول رسالة العبرانيين: «فلنقدّم به في كلِّ حين لله ذبيحة التَّسيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عبرانيين ١٣: ١٥).

٥- مثل مخطوط الفاتيكان رقم (١٧ قطي)، و مخطوط أكسفورد رقم (٣٦٠ هنت)، ومخطوط رقم (١٣٦ طقس). بمكتبة أنبا مقار، ومخطوط رقم (١٤٧ طقس). بمكتبة أنبا مقار.

٦- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٤٦، ٢٤٧.